قضية الامة ومؤامرة التسوية

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية المناضلة

تأتي هذه المناسبة اليوم في ظرف قومي تمر فيه الامة العربية بأمتحان تاريخي تنضج فيه تحولات مصيرية، تذكرنا بظروف نشأة الحزب، فنشعر اننا نعيشها، فالحركة الثورية الاصيلة ميلادها لاينتهي. فهي تولد من جديد مع كل ازمة عميقة ومع كل فرصة تاريخية للنضال الخلاق.

ان احياء ذكرى مولد البعث لايذكر بالبهجة والافراح وأنما بالظروف العصيبة والالام القاسية التي كانت تعانيها أمتنا العربية من مشرق وطننا الى مغربه والتي دفعت جيلا من شباب العرب الى التفكير والتأمل للبحث عن طريق الخلاص.

ولد الحزب في ظروف صعبة قاتمة، كانت الامة العربية فيها مستعبدة ممزقة، تعاني اقطارها من وطاة الاحتلال الاجنبي وما يرافق الاحتلال والاستعمار من ضعف وتخلف وتجزئة ومن قمع وحشي لكل بادرة من بوادر الوعي والتحرر. ان الباعث العميق لظهور حركة البعث كان يكمن في ادراك التناقض الكبير بين أوضاع الامة العربية: السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبين الامكانات الضخمة التي كانت تزخر بها الامة ولا تستطيع التعبير عنها وتحقيقها في الواقع. ذلك لان قيادات تلك المرحلة كانت عاجزة عن أطلاق طاقات الجماهير وتعبئتها واعدادها لنضال منظم

(١) كلمة في السابع من نيسان عام ١٩٧٨، لمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.

طويـل النَفَس، واضـح الاهـداف، يعبـر عن روح الامـة وضميرها، وعن الحاجات الحيوية لجماهيرها الشعبية الواسعة.

ونحن الان بعـد مضي نحـو خمس وثـلاثين سنـة على تلك الفترة وبعد ان جلا المستعمـر عن معظم أجـزاء الـوطن العـربي نتيجـة نضال الشعب وثوراته المتلاحقة وبعـد التقـدم الـذي أحـرزه الشعب في مختلف أقطـاره وعلى شتى الاصعدة، نجد أنفسنـا مرة أخـرى أمـام التناقض الكبير الصارخ بين الواقع العربي الموسوم بالجمود والعجـز، وبين الامكـانـات الضخمـة التي تزخـر بهـا الامة والتي لاتجد سبيلها الى التحقق والتوحد. ذلك ان العمل الثوري خلال الحقبة السابقة لم يكن عميقا وجذريا الى الحـد الـذي تتطلبـه أوضاع الامة العربية كيما يحدث التصحيح المطلوب. لان التصحيح المطلوب إحداثه بالعمل الثوري يجب ان يؤدي الى توفير القدرة الواضحة الحاسمة على تحرير الارض العربية من السرطان الصهيوني، وتحرير الوطن العربي من النفـوذ الامبـريالي والقضاء على كل ركائز الاستعمار والصهيونية في هذا الوطن، وذلـك لايكـون الا بتحرير طاقات الجماهير العربية. ولئن لقيت الانجازات التقدمية على اختـلافهـا، رضـا من الجمـاهيـر فأن كثيـراً منها لم يلامس بعد أعماقها القومية الانسـانيـة. وأهم تعليـل لهـذه الظاهرة هو ان هذه الانجازات صنعت من فوق، هبة ومنحـة، وقليلون هم القـادة الـذين توجهـوا الى الجمـاهير الشعبية بأعتبارها صاحبة الـوطن وصـاحبـة القضية، وصاحبة الحق في النضال قبل الحق في ثمرات النضال. ان الجماهير اذا أعطيت منجزات لصالحها فانها تقبلها ولاترفضها. اما إذا أستطاعت هي ان تحقق بنضـالهـا هذه المنجـزات فانهـا تصبـح منجزات ثورية، لانها تحققت على أيـدي جمـاهير مناضلة تعرف كيف تحميها وتدافع عنها. ان كون الثورة العربية في معظم أقطارها لم تصل بعد الى هذا العمق في التأثير، هو في آن واحد، مدعاة أسف، ودافع الى الامل والعمل.

نأسف لان اوقـاتـاً وفـرصـا قد ضاعت على الامـة العربية كان يمكن ان تسجل خطـوات في التقـدم نحـو أهـدافهـا ولكننا نشعر بالامل يملأ جوانحنا، ويحفز هممنا عندما نرى ان شيئا كثيراً مازال ينتظر المناضلين الصادقين والقادة المبدعين المؤمنين

بالشعب. نشعر بالامل لان العجز الذي نشاهده ونعاني منه في الوضع العربي الراهن، لايدل على عجز في الامة وجماهيرها الشعبية بل يشير على العكس الى ان الامة وجماهيرها لم تشترك بعد، أشتراكا كليا في المعركة القومية ويتحمل مسؤولية ذلك أكثرية القادة والحركات التي تتكلم بأسم الامة والجماهير ولكنها لم ترد او لم تعرف بعد كيف يصل كلامها وعملها الى أعماق الامة وأعماق الجماهير.

وليس يعني هذا ان الامة والجماهير الشعبية لم تشارك بعد مشاركة كلية عميقة في أي عمل او انجاز ثوري، تم حتى الان. ذلك ان الامة وجماهيرها كانت حاضرة ومشاركة الى الاعماق في ثورة الجزائر البطولية وفي تأميم عبدالناصر لشركة القناة وتحديه الاستعمار أثناء العدوان الثلاثي على مصر، ثم في فرحة أعلان الوحدة بين سورية ومصر، وايضا في ثورة ١٤ تموز في العراق التي قضت على أقوى ركيزة للاستعمار في المنطقة كما كانت الامة العربية وجماهيرها حاضرة ومشاركة أعمق الحضور والمشاركة يوم أممّ العراق نفطه، متحديا الشركات الاستعمارية ومفتتحاً عهداً جديداً من السياسة الوطنية الاستقلالية القائمة على الارادة الثورية الاقتحامية والتخطيط العلمي الثوري الدقيق.

وكانت الامة وجماهيرها حاضرة ومشاركة بقلبها وروحها وضميرها في كل عملية فدائية جريئة، قدّم فيها شباب عرب أرواحهم الطاهرة وأعمارهم النضرة فداء للمثل العليا وبدافع الحب للامة العربية والحرص على مستقبلها، وكم مرة ساد فيها العجز والجمود، وكاد اليأس يستولي على النفوس، واذا العمل الفدائي يشق حجب اليأس والظلام ويمنح النور والامل كأنه وحي من السماء يذكّر الشعب بقوته الكامنة ويذكّر العدو بضعفه الاساسي وبالفرق بين الغاصب المعتدي وصاحب الحق المؤمن بحقه.

ان ما يجدر بالبعثيين وبالمناضلين العرب والجماهير الشعبية الكادحة ان يذكروه وان يرسخ في وعيهم، هو ان فترة العجز والارتداد والاستسلام ليست الا فترة مؤقتة عابرة، ولابد ان تنتهي وفي وقت قريب، فهي ليست عامة شاملة، بل تقتصر فقط على بعض الانظمة والحكام. وانها ليست الا أستثناء للقاعدة التي هي نهوض الامة

العربية في مختلف أجزاء وطنها، ونضال جماهيرها الذي سجل أنتصارات تاريخية ضد قوى أستعمارية ورجعية شرسة.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية العظيمة.

عندما لاح للامبريالية الاميركية وللكيان الصهيوني ان القوى العربية التقدمية قد ضعفت وتفككت بعد مؤامرة الانفصال على دولة الوحدة، وبعد مؤامرتي ١٨ تشرين و٢٣ شباط على حزب البعث في كل من العراق وسورية، أستدرجت عبدالناصر الى معركة مباغته، وأعتقدت ان هذه الضربة ستكون كافية لاخضاع الشعب العربي وتيئيسه، وجره الى الاعتراف بالامر الواقع، الذي هو: ضياع فلسطين والقبول بالتعايش مع الكيان الصهيوني المنتصر، المسيطر على المنطقة كلها بمساعدة الامبريالية الاميركية ومشاركتها، وكان الاعداء مطمئنين الى موقف الرجعية العربية متأكدين من مؤازرتها للمشروع الامبريالي الصهيوني ومن ألتقاء مصالحها معه.

ولكن مخطط الاعداء فوجىء بتفاعلات الهزيمة القومية مع روح الجماهير العربية الشعبية وقواها الثورية، فظهرت المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائي وقام مناضلو حزب البعث في العراق بالاستيلاء على السلطة من جديد، مزودين بتجربة قومية وحزبية غنية أنضجتها النكسات التي مرت على الامة والحزب.

وكان لابد من البحث عن طريق يضمن موافقة العرب على ما لم يستطع الاعداء فرضه عليهم بالقوة، فكانت حرب تشرين. ولكن القوة العربية التي فجّرتها الحرب تجاوزت ما خططت له الامبريالية الاميركية والانظمة العربية المتواطئة معها في تدبير تلك الحرب تجاوزاً كبيراً لم يكن في حسبان المخططين. ذلك ان أية قوة دولية عظمى، مهما تكن متفوقة في التخطيط والوسائل تبقى عاجزة عن حساب ما يمكن ان تبدعه روح الجماهير وقواها الكامنة. فحرب تشرين التي دبرت كوسيلة حاذقة بارعة لتمرير التسوية، اي تصفية قضية فلسطين بالصلح مع العدو المغتصب ومفاوضته والاعتراف به، أصبحت عقبة في طريق هذه التسوية أكبر من عقبة هزيمة حزيران، هذه هي المفارقة الكبرى التي أوقعت الاعداء والعملاء في التخبط

والتنـاقض حتى الان . فالعـدو الصهيوني بعد الهزيمة النسبية التي لحقت به، تعرى أمام العالم كله، وبان اصطناع كيانه، وأنكشف مقتله، وظهر أنَّ وجوده بالذات وجود مؤقت، ينتهي مع أول نصر عربي يأتي به المستقبل، في ظروف وموازنات دولية ملائمة.

أمـام هذه الحقـائق التي هي ليست جديـدة، الا من حيث أنكشـافها وأنتشارها أمام العدد الواسع، لجأ العدو الصهيوني الى أساليب جديدة لاتغير شيئا أساسياً في أستـراتيجيتـه، بل تخدمها وتعززها. ففي الوقت الذي أنكشفت فيه حقيقة الصهيونية على الصعيـد الـدولي، كحـركة عنصرية أستعمارية أستيطانية توسعية، وأدينت بقرار من أعلى هيئة دولية، يضع هذا الكيان على رأس الحكم لديه، أكثر الفئات تطرفاً في عقيـدتهـا الصهيونية العدوانية، لاضفاء مظهر القوة والصلابة والتصميم على المضي في المشـروع الصهيـوني التوسعي بصورة أشد وأقوى من اي وقت مضى، تثبيتاً لثقة سكـان الكيـان الغـاصب ولاحتياطيه في الخارج، وضغطا على الامبريالية الاميركية التي تعتبـر الكيـان الصهيـوني قاعـدة وقلعة وأداة فعالة لعدوانها ولنهبها ثروات الوطن العــربي، لكي تبقى هذه الامبـريـاليـة ملتـزمـة بالتحـالف الستـراتيجي مع الكيـان الصهيوني فلا تبتعد عنه في مساوماتها مع الانظمة العربية الرجعية العميلة، والانظمة المتهاوية والمتهافتة (بسبب ضعفها) على التسوية الامريكية.

امـا الانظمـة المتـواطئـة مع الامبـريـالية الاميركية في تدبير حرب تشرين، فقد أُسقط في يدها، لانها بعد ان بالغت في حجم أنتصار تشرين، أمست تنوء بعبء النصـر الـذي لم يكن في الحقيقـة من صنعهـا ووقعت في الحـرج والتنـاقض، لان الـروح التي خلقتهـا حرب تشـرين تتنـافى مع الـروح الاستسلامية التي تحاول هذه الانظمة إشاعتها في أقطارها.

لقـد كانت هذه الانظمـة تطمـح ان تجـري التسوية من موقع المنتصر، محاولة بذلك خداع الجماهير ولو الى حين ولكن حساباتها لم تأت متفقة مع حسابات العدو الصهيـوني. فقـد رد العـدو عندما أوصل الفئات الصهيونية الارهابية الاكثر تطرفاً الى رأس الحكم في الكيـان الصهيـوني، رد بمنطق المـزايـدة والمكـابـرة، على النتائج

السلبيـة التي أفـرزتهـا حرب تشرين بالنسبة اليه . فهو الان مضطر للتعامل مع العرب بمـزيـد من القـوة والشراسة والغطرسة ، بل ان شراسته الان هي أشد منها في أعقاب حرب حزيران متجاهلا حرب تشرين وكأنها لم تحدث ، بل انه حاول خلال السنوات الاخيـرة أن يعمـل على ألغـاء نتائج تلك الحرب ، بان أفتعل بواسطة عملائه وحلفائه الانعزاليين في لبنان حرباً اهلية مدمرة ، أراد منها القضاء على ما أثارته حرب تشرين في الجماهير العربية من أنتعاش وثقة بالنفس .

ان العـــدو الصهيـوني هو الـذي يرفض التسـويـة الان ، لانـه يريـدهـا بشـروط المنتصـر . وهـو يفتقد الشعور بالانتصار رغم أستسلام حكام التسوية . فالتسوية التي يقبل بها العدو هي التي تبدأ من ضعف العرب ومن تفرقهم ، لتزيدهم بأستمرار ضعفا على ضعف ، وتمـزقـاً فوق تمـزق ، وهو لذلك يحتاج الى مزيد من الوقت يحاول فيه بالتعـاون مع الامبـريـاليـة الاميـركيـة والـرجعيـة العربية ، والانظمة المستسلمة ، ان يضعف العرب ، ويفتت صفوفهم ، ويشغلهم بالفتن الداخلية والخلافات الثانوية .

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العظيمة

اننا نرى الواقع العربي بكل أمراضه ، ولكننا نرى فيه ايضا عوامل القوة والامل ، نحكم عليـه حكمـاً ثوريـاً حاسمـاً ، ولكننا نثق أعمق الثقة بأن مستقبلا مشرقاً سيولد منه . نأسف لهذا الواقع ونتألم ونغضب ولكننا لانستغرب ، ولا نحار ، فأسبابه واضحة لدينا ونؤمن انه تأهُب لقفزة جديدة الى أمام ، لاعلامة ردة وتردٍ ، وطبيعي ان يظهر من يرى في هذا التـوقف المؤقت ، فرصتـه للاستغـلال والتمتـع بالسلطة ، ولو بالتضحية بمصلحة الشعب ، ومستقبل الامة ، وحتى عن طريق التآمر والخيانة .

لقـد عين الاستعمـار للحكـام العـرب الممالئين له ، وللطبقة الطفيلية المحيطة بهم ، ادوارهم ، ولكن منطق الثـــورة عين لهم أدواراً اخـــرى : بأن يكـونـوا بخيـانتهم وتـواطئهم واستسـلامهم ، مهمـازاً يحـرك الـوعي وينضجـه ويثيـر النخوة والغضب ، ويعجّل في تفجير ثورة الشعب من جديد . ان الجماهير لايمكن ان تقبل او تصدق ، ان تكـون مصـر العـربيـة رائـدة النهضـة الحديثة منذ قرنين من الزمن ، وحاملة أعباء

النضـال ضد الاستعمـار والاحتـلال الاجنبي ، هي التي تطلب اليـوم من العـرب ان يصـالحـوا العـدو المغتصب ويسلمّـوا بشروطه . ولايمكن ان تقبل وتصدق ان تسالم مصـر العـربيـة الصهـاينـة المحتلين وان تتنكـر لقضية فلسطين وهي التي قدمت في سبيلهـا في المـاضي البعيد وفي الماضي القريب، مئات ألوف الشهداء، لكي تبقى الارض العربية مطهرة لايدنسها غاصب ولايقيم عليها محتل .

لقـد أختـار السـادات لنفسـه ان يكون منفّذ الردة والاداة الاولى للرجعية العربية والامبـريـاليـة في المنطقـة ، فأرتمى هو والطبقـة الطفيلية المستفيدة من حكمه ، في أحضـان الامبـريـاليـة الاميـركيـة ، جاعلا أياها ، بقرار شخصي منه ، طرفاً حيادياً بل صديقاً ، متجاهلا نزعتها الى الاستغلال والسيطرة وأطماعها في موقع الاقطار العربية وثـرواتهـا ، وتحـالفهـا الستـراتيجي مع الكيان الصهيوني ، ومصلحتها في إبقائه أداة عدوان على الاقطـار العـربيـة وعـامـل تهديد وإضعاف لها ، ليمنع وحدتها ، ويعطل نهضتهـا . كذلـك ، وكنتيجة منطقية لارتباطه بالامبريالية ، وبقرار شخصي منه ، أعتبر السـادات عنـدمـا زار الارض المحتلة ان الكيـان الصهيـوني قد غيّر طبيعته العنصرية العـدوانيـة التوسعية ولم يعد الاداة والقاعدة الرئيسية للامبريالية في المنطقة العربية ، وأنـه أصبـح كيـانـاً مسالماً ، وهو المزود بالسلاح الى حد التخمة ، يكرر عدوانه على الاقطـار العـربيـة ويـوسع رقعة أغتصابه ، وينشر القتل والدمار في أرضنا وبين أهلنا . وعندما فوجىء السادات بأستنكار الأمة العربية كلها لفعلته المهينة لم يجد مهربا الا ان يحاول عزل مصر عن جو الشعور العربي ، وان يخرجها من مسيرة النضال العربي .

ولكن الجمـاهيـر العربية ستبقى تتطلع الى مصر، رائدة النهضة واثقة ان سحابة التشـويـه والتـزويـر لابـد ان تنقشـع ، وان هذه التجـارب المريرة ستعجّل في تعميق أنصهـار مصـر وشعبهـا في تيـار المصير العربي ، لتعود الى مركزها الطليعي في حركة الثـورة العـربيـة ، ويتطـابق دورهـا الـذاتي الـواعي الارادي مع دورهـا الموضوعي ، بأعتبـارهـا الثقل العربي البشري والحضاري الاكبر والافعل . ان حاكم مصر يستطيع ان ينفرد في أتخاذ الموقف ويكون مطمئنا الى تأييد الجماهير العربية ودعمها له ، اذا

كان الموقف الذي يتخذه، موقفا ثورياً متجاوباً مع أعماق الضمير العربي الشعبي. ولكن حاكم مصر لايستطيع ان يتخذ موقف التخاذل والتفريط والخيانة، ويضع العرب امام الامر الواقع، حتى ولو كان يعتمد ضمناً على تأييد الانظمة الرجعية العميلة أو سكوتها، لان موقفه هذا يصطدم مع ضمير الجماهير العربية ويثير سخطها واستنكارها، ويتعرض للمقاومة العنيفة الثابتة.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا المناضلة

ليس وضع سورية بأقل خطورة من وضع مصّر، من حيث نتائجه وأنعكاساته على القضية القومية. بل ان بين الوضعين تماثلا وتجاوباً حتى بالرغم من مظهر التباعد والتخاصم في بعض الاحيان. لان كل واحد من هذين النظامين بحاجة حيوية الى وجود الاخر ومساندته، فالنظام الذي يتكلم بأسم سورية يعطي بأسم القطر الذي ولد فيه الوعي القومي العربي الحديث الشرعية القومية والغطاء العربي للتفريط المنوط بالنظام المصري ان يقدم عليه، كما ان النظام الذي يتكلم بأسم مصر، الثقل العربي الاكبر والاهم، يمنح النظام السوري الدعم والجرأة في أعلان مالم يألف شعب سوريا سماعه من حاكم، في قبول الصلح مع العدو الصهيوني. وطبيعي ان يختار لهذه المهمة نظامان ضعيفان، ليس لهما جذور شعبية ووطنية.

ان أنظمة التسوية تريد ان تُدخل في روع الجماهير العربية خدعتين، الاولى: ان الامة العربية لاتملك في الوقت الراهن، القوة التي تمكنّها من الصمود أمام العدو الصهيوني المدعوم بقوة الامبريالية الاميركية، والثانية: ان هذه التسوية ليست الا هدنة يستكمل العرب خلالها أسباب قوتهم وشروط إعداد أنفسهم لمعركة التحرير. والحقيقة ان القوة العربية الراهنة لاتقصر عن الصمود للعدو، الا بسبب وجود أنظمة التسوية المتخاذلة ومن ورائها الانظمة الرجعية العميلة التي تتزعم الردة في البلاد العربية منذ هزيمة حزيران وتتبنى - بشكل مغطى - مشروع التسوية الاستسلامية والتي تتنازل كل عام عن المليارات من أموال الشعب، للامبريالية الاميركية مقابل ان تضمن لها هذه الامبريالية بقاءها في الحكم. وأما الحقيقة الثانية: فهي ان التسوية

لن تكـون في حال من الاحـوال هدنـة لاستكمال القوة، ولا أمانة للتحرير تتركها هذه الانظمة لتنجزها الاجيال القادمة.

ان مقـدمـات التسـويـة تدل على ان المطلوب منهـا ـ فيمـا لو نجحت ـ ان تعيد ترتيب الاوضـاع العـربيـة لمصلحـة الانظمـة والطبقـات الـرجعيـة، وتخلق جواً من الارهـاب والقمـع والانكمـاش والتعصب الاقليمي، وتهـدف الى محـاصرة الانظمة والحـركـات التقدمية ومحاربتها وتصفية المقاومة الفلسطينية وإشاعة الفساد والميوعة وروح الاستسلام، اي ان المطلوب ليس ان توكل مهمة التحرير الى الاجيال العربية القـادمـة ـ كمـا يدّعـون ـ بل قتـل الروح التي يمكن ان تخلق مثل هذه الاجيال. ان أنظمـة التسـويـة والانظمـة الـرجعيـة العـربيـة التي وراءها، هي أكثر من استسلامية لاتكتفي بالخضـوع للعـدو، بل تسعى الى تشكيل حلف مع الامبريالية والصهيونية، له أستراتيجية هجومية شاملة للوطن العربي كله. وقد تتعداه الى بلدان العالم الثالث لضرب كل بؤرة للثورة والتحرير يمكن ان تنتقل عدواها الى أقطارها.

ان التصرف بالقضية الفلسطينية اي بالقضية المركزية للامة العربية والتي تتعلق بمصيـرهـا ذاتـه، هو من حق هذه الامـة وحدها. اي من حق الملايين من جماهيرها الشعبيـة الكـادحـة من أقصى الـوطن العـربي الى أقصـاه، هذه الجمـاهير الاصيلة المناضلة الوفية لتراث أمتها المجيدة، والحريصة على ان يكون للامة مستقبل عظيم مشـرق في مستـوى ماضيهـا العـريق، حتى المقـاومة الفلسطينية، التي هي من أبرز عنـاوين صمـود هذه الامة، وأستبسالها في الدفاع عن وجودها، فانها ليست الا جزءاً من الامـة وطـلائعهـا الثـوريـة ولا تملك حق التصـرف في قضية، هي قضية المصير العربي كله. فمن هم الذين يتصرفون اليوم بهذه القضية، ويقدمون على الصلح مع العـدو، وعلى الاعتـراف له بشـرعيـة أغتصـابـه لفلسطين؟ ومـاذا تمثل هذه الانظمة وهؤلاء الحكـام؟ هل يمثلون تراث الامـة وعـراقتهـا وأصـالتها وتمسكها بحقها؟ هل يمثلون الجماهير الواسعة التي تكدح، وتزرع الارض وتبني المدن وتحارب، وتقدم دمـاءهـا من أجـل أرض الـوطن؟ أم أنهم يمثلون الطبقـات المستغِلة المنحلة التي أنقطعت صلتها بالارض وبالشعب وبالتراث، ولم تعد تعرف الا مصالحها الجشعة؟

أليست الرجعية العربية هي القائدة والمدبرة لمؤامرة التسوية؟ أليست مدفوعة بالحرص على أموالها، التي هي أموال الشعب العربي وسلطانها المدعوم بقوة الاجنبي؟ اولم تجد فرصتها الذهبية في هزيمة الامة وهي تعمل منذ ذلك الحين لارجاع سيطرة الامبريالية، وتمكين اغتصاب العدو الصهيوني ليتوفر المناخ الذي تستطيع فيه ان تتنفس وتعيش وتستمتع دون ان يهددها خطر من الشعب المطالب بحقه والمدافع عن كرامته؟.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية المناضلة

ان فترة الخمسينات التي حقق خلالها المد الشعبي الثوري أنتصاراته التاريخية كانت فترة وضوح في الرؤية وأستقرار في الوعي. اما فترة النكسات والتراجعات فطابعها أهتزاز الرؤية واضطراب الوعي وتخلخله، فالعدو صديق والصديق عدو، والنصر نصف نصر، والهزيمة نصف هزيمة. والتسوية تسويتان: رجعية وتقدمية. وهذا كله يسهم في زيادة الغموض والبلبلة، وفي أستنزاف حيوية الجماهير وزعزعة يقينها.

ان أنقاذ مستقبل النضال العربي الثوري يستوجب العودة الى الرؤية الواضحة والخط الثوري السليم، لكي لاتبقى قضيتنا المصيرية التي فيها بقاؤنا او فناؤنا كأمة، مرتهنة للدول الاجنبية - المعادية لنا والصديقة المحالفة - ينوبون عنا في وضع الحلول لها. فالحل الثوري الكامل الواضح هو الذي يضعنا في صف الجماهير العربية المناضلة لاسقاط التسوية الاستعمارية، لان هذه التسوية هي أستمرار لمؤامرات الاستعمار على وجودنا وعلى ارضنا وخيراتها. كما انه يضعنا بالنسبة الى اصدقائنا وحلفائنا على صعيد الاستقلالية والارادة الحرة.

ان القضية العربية التي تلخصها قضية فلسطين، هي قضية هذا العصر، ولكن ثورتها لم تصبح بعد ثورة العصر، لان النضال العربي لم يرق بعد الى مستوى قضيته وهذه هي مهمة الشعب العربي وجماهيره المناضلة، وطلائعه الثورية. هذه المهمة التي يجب ان لاتوكلها الى أحد، ولا تتنازل عنها لاحد، انها الامتحان التاريخي

لجدارة الامة العربية، وهي المراهنة الصعبة التي يطلب فيها الارتقاء الشاق المضني بالنضال العربي الشعبي الى مستوى الرسالة الانسانية، كما يطلب منها تصحيح مفاهيم الحق والعدل في السياسة الدولية، وبث روح جديدة في النضال الاشتراكي العالمي الذي تكاد السياسة الواقعية، ومجاراة الامر الواقع تطفيء جذوته المبدعة وتفضي به الى مواقع الدفاع والمحافظة، وتفقده المبادرة التاريخية التي هي امل الشعوب في خلق انسانية تقدمية.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العظيمة

اننا ورثة حضارة من أعظم حضارات العالم، وان ملهمات الماضي وتحديات الحاضر تدفعنا الى احياء دورنا الحضاري، وتشدنا الى العلم والمعرفة، والى بناء المجتمع بناء حديثا، ولكننا ندرك ان قدرنا في مرحلة الانبعاث، هو ان ننشد الحضارة من خلال الدفاع عن بقائنا، وان نبني المجتمع الحديث في جو الثورة والنضال.

ان السلام غايتنا، ولكنها غاية بعيدة، لن نبلغها الا بعد ان نرد العدوان، ونزيل الظلام، ونحق الحق لان سلامنا هو السلام الحقيقي **الثابت** الوطيد لنا ولجميع الشعوب المعتدى عليها، الضعيفة **المستغلة** لانه سيكون أنهاء للسيطرة الاستعمارية، وبداية للسلم العالمي.

اما سلام الاعداء فليس الا خدعة تخبيء لنا الحرب الغادرة والعدوان الوحشي، والمذلة والفقر والدمار. ورفضنا له لايعني اننا نرفض السلام او اننا ضد الحضارة وانما يعني اننا نرفض العدوان علينا وأغتصاب أرضنا. وتقتيل وتشريد شعبنا ونهب ثروات وطننا وفرض التجزئة على كياننا القومي، والتخلف والفساد على مجتمعنا العربي.

ان تطلعنا الى السلام، والى احياء دورنا الحضاري يفرض علينا ان نستعد لرد العدوان وأن نخوض معركة التحرير، فمعركتنا دفاعية مشروعة وهي ثورة انسانية بناءة، نؤدي فيها الامتحان الصعب لشعورنا بأنسانيتنا ودفاعنا عن كرامتنا، وقدرتنا

على تجاوز عوامل التخلف، ومجاراة عصر العلم، ووعينا لدورنا الحضاري ومسؤوليتنا تجاه مستقبل العالم. وعندما نرفض ان نواجه قدرنا مواجهة صريحة شجاعة ونتهرب من المعركة، فاننا عندها نرفض السلام الحقيقي ونرفض احياء دورنا الحضاري، ونتيح للعدو فرصة لكي يشغلنا بمعارك داخلية تستنزف حيويتنا وطاقاتنا، وتزرع الاحقاد بين صفوفنا كما جرى في لبنان على أمتداد سنتين. ولئن كان مفهوما ان تقترن النظرة الحضارية بالحرص على السلام بين الدول القوية المتقدمة التي تعبت من حروب التنافس على السيطرة ومناطق النفوذ، فليس الامر كذلك بالنسبة الى الشعوب المعتدى على سيادتها وأرضها وحريتها وثرواتها، والتي ليس أمامها سوى النضال والقتال، ودفع الثمن الذي تدفعه الامم الحية للمحافظة على بقائها والدفاع عن شخصيتها وقيمها الحضارية. فنحن مكرهون على المواجهة ودخول المعركة، لاننا ندافع بواسطتها عن وجودنا ومصيرنا، لذلك فحربنا جد مختلفة عن حروبهم، وسلامنا جد مختلف عن سلامهم. ان السلام الذي تدعو اليه الدول الكبرى او الدول القوية المتقدمة، هو سلام القوي الذي يفرض شروطه، وليس سلام الضعيف الذي يستجدي الرحمة من هنا وهناك. وكما ان الحضارة ملازمة دوما للقوة المدافعة عن الحق وللاقدام المنتصر له، فان الحضارة تبدأ بالتفسخ عندما تضعف هذه الصفات او تفتقد.

ان للامة العربية وضعاً خاصاً متميزاً، يتيح لها شروطاً قلما تتوافر لغيرها. فهي في الوقت الذي تخوض فيه معارك تحرير أرضها، وأسترداد ثرواتها، وتوحيد أجزائها، تضع وتبني مفاهيم جديدة للقوة والسلم والعدل كأساس لحضارة جديدة. ولكن هل تعني هذه المواجهة الصريحة الواضحة لحقيقة ظروفنا وقدرنا، ولما يمكن ان ينتظرنا في مستقبل قريب ان نركب الحماسة ونستعجل الامور ونرتجل الخطط في قضية المصير؟ ان الشعب العربي قد تجاوز منذ زمن هذا الطور وأصبح ينظر الى المعركة من كل وجوهها، ويعرف انها بناء صبور وتقدم في العلم والثقافة والفن، وتسابق في ميادين الصناعة والانتاج والاختراع، مثلما هي قتال وتضحية وفداء.

من واجبنا آن نعرف من هم اعداؤنا، وماذا يبيتون لنا، فنستعد للدفاع عن

بقائنا، ولكننا اصدقاء جميع الشعوب ننفتح على الانسانية كلها، ونتحاور ونتفاعل ونحن واثقون بأن في ذلك خيراً لنا وتعريفاً بحقنا، وتعجيلا في أنتصاره. ليس تمسكنا بحقنا وحرصنا على ارضنا واستقلالنا وتحقيق نهضتنا، واستعدادنا للقتال في سبيل ذلك ليتعارض مع استعدادنا الصادق للتعارف والتعاون. ان في الشعب العربي توقاً عميقاً واصيلا الى الاخاء الانساني، ولكن من موقع المنعة والعزة والكرامة. الغرب الاوربي يعرف حقنا ولا يجهله، ويعرف العدوان علينا وهو الذي خلق هذا الوضع العدواني في الماضي، وهومازال يشارك في دعمه صراحة حينا وحينا، في الخفاء والرياء، حضارته بلغت السن المتعبة التي ترى الحق ولاتجد في نفسها القدرة على الاعتراف به والانتصار له، بل تغلبها مصلحتها المادية وتحبب اليها الراحة والسهولة. ان بين نظرتنا ونظرة هذا الغرب فارقاً كبيراً لاسبيل الى ردمه وتجاوزه في مستقبل قريب، ولكن هذا لن يمنعنا من التعامل والتفاعل مع شعوب الغرب، وبيننا وبينها أكثر من صلة حضارية خلال قرون عديدة من التاريخ.

اما صلتنا كعرب بالدول والشعوب الاشتراكية، فهي على حداثة عهدها، أقرب وأوثق، بالرغم من انه لايزال ثمة فارق بين نظرتها الى قضيتنا المصيرية فلسطين، ولكننا أكثر ميلا الى التفاؤل بتطور موقف هذه الدول والشعوب في المستقبل بأتجاه تغليب السياسة المبدئية على السياسة الواقعية، كما اننا متفائلون وواثقون بأن المستقبل هو للفكرة الاشتراكية وللشعوب التي تؤمن بها، رغم التهويش الذي تنشره الصهيونية ومفكرو النظام الرأسمالي حول البلدان الاشتراكية. اننا نشعر بالتضامن مع هذه الشعوب. ومع شعوب العالم الثالث في قارات آسيا وأفريقية وأميركا اللاتينية التي تخوض معنا معركة تصفية القلاع الاخيرة للنظام الرأسمالي الاستعماري الفاسد الظالم، وتربطنا بها تجارب ومعاناة ثورية مشتركة، ونؤمن ان الانسانية الجديدة التقدمية ستولد من هذا التضامن المصيري.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا المناضلة

ان حزب البعث العربي الاشتراكي هولكل العرب، صمم كذلك منذ أن كان

مجـرد فكـرة، ولكن التجـزئـة المفروضة على الوطن العربي، حتمت ان يبدأ العمل الثوري الوحدوي من بعض الاقطار المهياة أكثر من بعضها الاخر، لمثل هذا العمل وكانت سورية أكثر الاقطار أستعدادا لان ينشأ فيها البعث، ويقطع أشواطاً واسعة على طريق النضـال الفكـري والسيـاسي أثمـرت في أواخر الخمسينات أنجازا تاريخيا هو وحدة سورية ومصر. ولكن هذا الانجاز الذي كان نصراً كبيراً لحزب البعث ولمبادئه، كان في الـوقت نفسـه نهـايـة لصعـود مسيـرة الحـزب في سوريـة، وبـدايـة التفكك والضعف. ذلـك ان تجـربة الوحدة فشلت نتيجة عوامل عديدة، منها، انه لم يسمح للحـزب ان يشـارك في توجيههـا والاشـراف على تطبيقها، ومع الانفصال تركز التآمر الاستعماري والصهيوني الرجعي على سورية وحزب البعث، وهما في أقصى حالات الضعف والتفكـك، ممـا ادى الى ما نشـاهـده منـذ سنـوات والى اليـوم من مفارقات عجيبة، وأرتكابات تتم بأسم سورية وباسم حزب البعث وسورية وحزب البعث منها بريئان.

ان فكـرة الحـزب القـوميـة ضمنت له ان ينتشـر في أكثر من قطر عربي، وهذا ما شكـل له حمـايـة وقوة. وكان الحزب في العراق قد نشأ نشأة صحية قوية تحمل بذور الصـدق والجـديـة والـروح النضـالية العالية. فلم تمضِ سنوات على نشوئه، حتى أصبـح له ثقـل خاص ورأي حاسم في تطـور الحـزب القـومي، وفي ما حققـه من انتصـارات، ومـا واجهه من أزمات وكان يقف دوماً مع الخط التاريخي للحزب، خط العقيـدة القـوميـة الثـورية، مع المواقف المبدئية الثورية التي تتطلب التجرد والنفَس الطـويـل في وجـه النزعات الاصلاحية والانتهازية، والميول القطرية والوصولية، مع العقيدة الوحدوية في وجه الذين تراجعوا عنها، او شككوا فيها نتيجة التطبيق المشوه لوحـدة عام ١٩٥٨، مع العقيـدة القـوميـة ضد الذين حاولوا ان يحجبوها ويطمسوها ويقيموا تناقضاً بينها وبين الاشتراكية فيقضوا هكذا على أهم ما تميز به الحزب عندما قرن القومية بالاشتراكية.

هكـذا حمـل الحزب في العراق، الامانة بحق وجدارة وكانت أستعادته للسلطة في ١٧ ـ ٣٠ تمـوز عام ١٩٦٨ اي بعـد اقـل من خمس سنوات من الردة السوداء في

١٨ تشرين عام ١٩٦٣، وبعد عامين من مؤامرة ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ عملاً فيه الاقدام والحكمة ومستوى من النضج جديد. وخالط البعثيين وأصدقاءهم شعور هو مزيج من الامل الكبير والحذر من تجربة السلطة بعد الذي عانوه من الاخطاء التي رافقت ثورة رمضان العظيمة، ومن مرارة تجربة الحكم في سورية حيث كانت سمعة الحزب، تتردى هناك، ولم تعد الجماهير الشعبية تستبين ملامح البعث في ذلك الحكم، والبعثيون أنفسهم أنكروا ان يكون ذلك هو حزبهم.

وسارت ثورة ١٧/ ٣٠ تموز في طريقها الصعبة باتئاد وأتزان، تحمل آمال الحزب والشعب، ومخاوفها من ان تتكرر الاخطاء والنكسات. ولكنها كانت تحمل ايضا مبادىء البعث تمدها بالقوة والمنعة لمواجهة المسؤوليات القومية في أخطر فترة تمر بها الامة العربية وأصبح كل يوم يمر على التجربة يكشف جانباً من صدقها وصدق انتمائها الى البعث وتجسيدها لمبادئه ويقربها أكثر فأكثر من قلوب المناضلين والجماهير العربية.

ان تاريخ الحزب على أمتداد مسيرته الطويلة التي أتت بالنجاحات والانتصارات، كما تخللتها العثرات والنكسات قد حمل دوماً قرائن الصدق مع النفس والقضية. لانه عاش في مثول دائم أمام تاريخ الامة يستلهمه ويطلب حكمه، ولايطلب الحكم الا منه. لذلك فضل الحزب في فترات حاسمة من تاريخ نضاله ان يدخل مناضلوه السجون ويشردوا في المنافي على ان يتساهل ويتنازل في أمور عقيدته، او ان تدفعه شهوة الحكم الى عمل ما يخالف هذه العقيدة. هذا هو الارث الايجابي الذي تتابعه تجربة حزبنا في العراق لتغنيه وتزيده اشراقا.

ان ثلاثين عاما من النضال مرت على الحزب لاتعتبر كثيرة ما دامت قد أوصلت الى هذه التجربة الممتلئة عزماً وعافية، والتي هي بداية سليمة على الطريق الطويلة لتحقيق وحدة الامة العربية ولتحرير ارضها وارادتها وطاقات جماهيرها الكادحة المبدعة، فالبداية السليمة هي وحدها القادرة على الوصول الى الغاية.

نحن بحاجة دوما الى الرؤية الثورية المؤمنة بحق الامة العربية في الحياة وبقدرة الشعب العربي على تحقيق أهداف الامة. نحتاج الى النَفَس الطويل، لان قضيتنا

القومية قد تتطلب أجيالا تتعاقب لتكمل الرسالة ، ولكن واجبنا ان نسلم الاجيال التي تاتي بعدنا أرثا أيجابيا من الصمود والاباء ، ومن الانجازات والانتصارات .

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية العظيمة

ان مما يعزز الايمان بقدرة الجماهير العربية الشعبية على الاضطلاع بأعباء الثورة العربية ومهماتها التاريخية هوما نشاهده من روح الصمود والاستبسال عند المقاومة الفلسطينية وأبناء الشعب الكادح في جنوب لبنان في تصديهم للغزو الصهيوني وأسلحته المدمرة ، وأساليبه الوحشية . اذ نجح مئات من المقاومين والمقاتلين في أفشال مرامي حملة العدو وأرباك جيشه رغم الحصار المضروب على المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية من مختلف القوى المعادية والمتواطئة . وكان أنجاد العراق للمقاتلين ، وتخطيه شتى المصاعب والمعوقات بارقة نور مشرقة وسط ظلام التآمر والتخاذل .

ومما يعزز الايمان ايضا بروح الامة وجماهيرها الكادحة ، ما شاهدناه قبل أشهر ، من أنتفاضة شعبية عارمة في القطر التونسي حملت معاني كثيرة توحي بالامل والعبرة ولايمكن ان نجردها من معنى التجاوب والتضامن مع نضال الجماهير الشعبية في أقطار المشرق العربي ضد التسوية والتفريط بقضية فلسطين ، وتحدياً للانظمة الرجعية والليبرالية الاقليمية المتواطئة بشكل اوبآخر مع القوى الامبريالية والصهيونية ، والتي لاتبدي أهتماماً بشؤون المشرق العربي الا من أجل تسهيل مهمة أعداء الامة لتمرير مؤامرة التسوية والصلح مع العدو الصهيوني بينما تمنع اي أتصال وتفاعل جماهيري بين أقطار المغرب والمشرق ، وتقيم سداً عازلا بين جناحي الوطن العربي ، وكذلك ما قامت به الجماهير الشعبية في مصر في العام الفائت من انتفاضة شاملة جارفة ضد حكم السادات والطبقة المستغِلة الفاسدة التي تحكم من ورائه ، ان دلَّ على شيء فانما يدل على ان الحاكم الذي يثور الشعب عليه ، بمثل هذه القوة وهذا الشمول ، لا يحق له ان يتكلم بأسم مصر وشعبها ، وبخاصة في أمر خطورة أمر الصلح مع العدو والتفريط بقضية فلسطين .

ان العبـرة الايجـابيـة التي تستخلص من هذه الظـواهر هي ان الجماهير العربية الكادحة لاتقصر في مكان ولاتبخل بعطاء من اجل أحباط المؤامرة على مصير الامة العـربيـة وأهدافها الكبرى. ولكن ثمة عبرة سلبية لايجوز ان نتجاهلها، وهي ان هذه الانتفـاضـات الشعبيـة تتـرك وحيـدة في مواجهـة قوى عاتيـة مدعـومة من الامبريالية وبالتالي فأن وحدة النضال بين الجماهير العربية في مختلف أقطارها، أصبحت هي المطلب الثوري الاول.

النضال يكشف عن الجوهر الانساني للامة العربية، بينما يفضح طبيعة العدوان والاجـرام عنـد أعـدائهـا. يوحدنا ويفرقهم، يغنينا ويفقرهم، يدفعنا في طريق الرقي والحضارة، ويدفعهم الى الاعمال الهمجية ويكشف عن عنصريتهم يضعنا في قلب الحـداثـة والعصـر، ويلقيهم في عزلة العقائد المتحجرة. شعارنا للمستقبل يجب ان يكـون: إزالـة التنـاقض بين حقيقـة الامـة وواقعهـا الراهن، بين قضية الامة ومؤامرة التسـويـة. توحيـد طاقـات الامـة وتحريرها وإعادة وحدة النضال العربي الى طريقها الصاعدة المتفجرة. . تعميق الطابع الانساني الحضاري لنهضتنا المعاصرة. .
شعارنا للمستقبل يجب ان يكون: الثورة العربية ستكون ثورة الانسانية الجديدة.

تحية الى شهداء حزبنا، والى شهداء الامة العربية الابرار.

تحية الى المناضلين العرب الذين يربضون في المعتقلات والسجون دفاعاً عن المبادىء والقيم النضالية.

تحيـة للبطـولات الفـذة التي تتفجر في الارض المحتلة وعلى الساحة العربية، وتفتح أبواب المستقبل المشرق.

تحيـة للقـوى الصامدة في وجه مؤامرات الاستسلام، العاملة على تحقيق وحدة النضال القومي، وتفجير طاقات شعبنا العربي.

تحيـة للشعـوب الصـديقـة، والقوى المؤازرة للحق العربي، المشاركة معنا في نصرة القضية العربية.